الاختيار في محيط الأفعال المتعلقة بجوارح الإنسان في القرآن الكريم

أ.د. سليمة جبار غانم
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

م.م. عبد الحي عبد النبي زيبك
المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

Choice in the context of actions related to human wounds in the Holy Qur'an

Prof.Dr. Salima Jabbar Ghanem
University of Basra / College of Education for Human Sciences
Asst.Lect. Abdel Hai Abdel Nabi Zeybek
The General Directorate of Education in Basra Governorate

ملخص البحث

البحث دراسة اعتمدت الوصف والتحليل في منهجها ؛ لبيان دقة اختيار الأفعال المتعلقة بالجوارح في النظم القرآني، فالقرآن الكريم ينتقي ألفاظه وحروفه بأدق لفظ، وأجزل عبارة، عبر نظمه المبدع وأدائه المعجز، لذا جاءت هذه الدراسة التطبيقية لبعض أفعال الجوارح ، وبيان القيم التعبيرية ودلالاتها التي حملتها في سياقها القرآني الذي انتظمت فيه.

الكلمات المفتاحية: الاختيار، الأفعال ، النظم القرآني ، جوارح الإنسان.

Abstract

A research is a study The method of collecting and analyzing information has been adopted In its approach to demonstrate the accuracy of the choice of verbs related to the human senses In the interconnectedness of the words of the Holy Quranso the Holy Qur'an selects its words and letters and chooses them with the most accurate wordingThe strongest and easiest phrasein the manner of his creative system and his miraculous performanceSo this applied study of some linguistic verbs related to the human senses cameAnd the statement of the expressive values that it carried in its Quranic context in which it was organized.

The key of words: choice of words - verbs - Quranic Methods - human Senses.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين حمدا يبلغ رضاه، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين الرسول الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ:

تظهر أهميّة الأفعال في بناء الجملة العربية التي لا تنفك عن دلالة الزمن ، وتعلُّق الحدث بالفاعل عبر الروابط التركيبية التي تثري السياق وتضفي ظلالا على الدلالة المركزية في الفعل لتشع بدلالات إضافية ، تُسهم بتطور الدلالة وانحسارها، والاختيارات القرآنية للألفاظ تمثل الذروة في البيان ، وآية من آيات إعجازه البياني وتفوقه على سائر النصوص، إذ إنَّ العرب الأوائل وقفوا عاجزين أمام هذا الكتاب العظيم ودقة نظمه وأعجبوا غاية الإعجاب بتكوين ألفاظه ودلالاتها التي تفردت ببلاغة متناهية، ودراسة هذه الألفاظ في مفصل من أهم مفاصل الجملة العربية وهو الفعل الذي عدَّه علماء العربية الأوائل من أقوى العوامل ؛ فهو يرفع فاعلا وينصب مفعولا وسائر المفاعيل والحال ونحو ذلك، ويؤدي وظيفته التركيبية في الجملة أينما كان متقدما أو متأخرا أو مقدرا، فضلا عن حدثه الزمني في الماضي أو الحال والاستقبال[1].

وجوارح الإنسان هي أعضاؤه التي يتشكل منها جسده وبها يكسب الأعمال، وعبرها تتحقق الاستجابات الذهنية والحركية، فالإنسان منظومة متكاملة تجمع ما بين العقل، وجوارحه ولعل أشرف الجوارح ما جمعها الوجه ولذلك جاء في قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عِمرَان الآية ٢٠] ، أي: وحده تعالى بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، وإنَّما خصَّ الوجه من دون القلب أو العقل؛ لأنَّه أكرم جوارح الإنسان، وفيه بهاؤه وتعظيمه، فإذا خضع الوجه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه[2]، وربَّما لاشتماله على أكثر من جارحة ، واحتوائه على مركز سيطرة الإنسان على الجوارح وهو العقل، ولذا كانت للجوارح وقفات تعبيرية لطيفة في

(١) ينظر: الفعل زمانه وبنيته، د. إبراهيم السامرائي: ١٥.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): ٣/ ٣٥.

سياقها، ودقيقة في معناها، تختزل مشاهد انفعالية وتعبيرية ذات أبعاد بلاغية وجمالية في النظم القرآني، إذ كانت لنا وقفات واختيارات مع بعض الأفعال المتعلقة بالجوارح وبيان الدقة في الاختيار القرآني.

الهدف من البحث ، والباعث على الخوض في دراسة بعض أفعال الجوارح في القرآن الكريم وطريقة نظمها، هو بيان دقة الاختيارات القرآنية في انتقاء الألفاظ واختيارها بما ينسجم مع قوة الأداء التعبيري، لذلك اعتمد الباحثان منهجا وصفيا تحليليا لبيان القيم التعبيرية وجمالية أدائها عبر طريقة نظم هذه الأفعال، ومن هذه الأفعال التي سنقف عليها متأملين ومدققين الأفعال الآتية:

أنصت

الإنصات هو السكوت لاستماع الحديث وكل من نَصَتَ وأنْصَت وانتَصَتَ تحمل الدلالة نفسها في السكوت[1]، والإنصات سكوت لابد أن يجتمع في دلالته الاستماع، يقال: أنصت له إذا سكت واستمع لحديثه[2]، يقال: أنصت له، وقد يأتي متعديا فيقال: أنصته، وأنصت غيره، أي : أسكته، أو سكت له، ويأتي الفعل مع اللازم للدلالة على حسن الانصات أي: أنصت له، وقد يأتي المجرد بمعنى المزيد فيقال: نصت الرجل، والأشهر في الاستعمال هو المزيد من أنصت[3].

الإنصات مرتبة من مراتب السمع وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين بصيغة الأمر فقط في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأَعرَاف الآية ٢٠٤] وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأَحقَاف الآية ٢٩] ، وفي الموضعين كانت دلالة الإنصات مع القرآن الكريم والخطاب مرة للإنس وأخرى للجن، والآية في سورة الأعراف حملت فيها دلالة الإنصات عند أهل الفقه دلالة شرعية عند سماع القرآن في أثناء الصلاة فأوجب تبارك وتعالى الاستماع والإنصات على كل مصلٍّ يُجهر أمامه

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ١٢/ ١٥٤-١٥٥(نصت).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٣٤(نصت)، وتاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ١٢٢(نصت).

(٣) ينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي: ٢٠٩.

بالقراءة فلابد من الاستماع والاكتفاء بقراءة الإمام ومعلوم أنَّ هذا في صلاة الجهر من دون صلاة الإخفات؛ لأنَّه من المحال أنْ يريد بالإنصات والاستماع ممَّن لا يجهر أمامه؛ لأنَّ المسر إنّما يسمع نفسه دون غيره عند القراءة(١)، وأمّا خارج أداء الصلاة فلا خلاف من أنَّه لا يجب الانصات والاستماع، وقيل: إنَّه في حال الصلاة يكون الإنصات وغيرها وذلك على وجه الاستحباب(٢).

إنصات الإنسان هو مرتبة من مراتب السمع ترتبط بالسكوت، وقد ((فرّق بين الاستماع والإنصات والَّذي يظهر لي أنّ استمع بمعنى سمع والإنصات توطين النفس على الاستماع مع السكوت فظاهر الآية يدلّ على راجحيّته إذا قرئ القرآن إمّا وجوبا أو استحبابا))(٣)، إذن الإنصات سلوك إنساني مرتبط بحاسة السمع في خطاب موجه لمن عُني بالقراءة وكان مقصودا بها ، وبخلاف ذلك لا يجب الإنصات بدلالة الاستماع وليس بمن يسمع والفرق بين السمع والاستماع جلي في التدقيق بالقول عن طريق العقل والقلب في حين السمع مجرد تمييز الصوت عبر جارحة الأذن لا غير، لذلك تتجلى دلالة تعليمية عبر لفظة الإنصات في القصد الذي يجتمع معه السكوت من أجل أنْ تستمعوا على أي حال في الصلاة وغيرها وهو باعث على التأدب بتجنب اللغو في استقبال كلام الله لذا تكون الدلالة دلالة عموم في ملمح تربوي تجاه الاستماع للقرآن الكريم، فضلا عن تعظيم شأنه بعد أنْ قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأَعرَاف الآية ٢٠٣] .

إنَّ اختيار الفعل أنصت له مزيته على مجرد السماع إذ إنَّ دلالة الإنصات دلالة محمودة وصفته صفة شريفة اتسم بها العلماء والحكماء وغيرهم ممن يحسن قراءة ما في السطور عبر لغة الجسد والأداء الصوتي مع حركة الجسد ، وأشكالها فمجرد الإنصات الذي يتسم بالوعي والتأمل والتدبر يتحقق الفهم والاستجابة، لذا نلحظ التعبير القرآني دقيقا جدا في إيراد الصيغ الفعلية الدالة على السمع من أجل إيصال الرسائل القرآنية للعباد وتدبرها؛ لئلا يكون هناك تهاون يعود على الإنسان بتضييع الكنوز المخبوءة في طيات هذا الكتاب العظيم، عندها يكون الإنصات جزءا من العبادة، فضلا عن التقديم والتأخير في السمع

(١) ينظر: سنن النسائي: ٢/ ١٤١، والتمهيد، ابن عبد البر: ١١/ ٢٨، وتفسير القمي: ١/ ٢٥٤.
(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٦٨، والحواس الإنسانية في القرآن الكريم: ٥٣-٥٥.
(٣) كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري: ١/ ١٩٥.

والإنصات في ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ، وما فيه من قيمة تعبيرية مؤكدة لتعظيم القرآن الكريم، فلما قدم الأمر بالاستماع له، أردفه بالإنصات والظاهر أنّ الإنصات إمّا بمعنى السكوت[1]، أو هو مع الاستماع تأكيدا فيه أيضا مع عدم إغفال السكوت وإلّا مجرد السكوت لوحده كدلالة في الإنصات لا يمكن أنْ تكون ذات تأثير في النفس، والحمل على مجرد الاستماع بعيد في دلالة الإنصات، فنجد التعبير القرآني يغاير في اختيار الأفعال لتحقيق التأثير في النفس وبلوغ المراد.

اختيار صيغة فعلي الأمر للإنصات وللسمع ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ ، بالتأكيد لكل منهما دلالته فإذا ما نظرنا إلى مراتب السمع في السماع والاستماع والإصغاء والإنصات، واختيار فعل الإنصات بالتحديد لما يمثله من أعلى رتبة في السمع، ففي السكوت والكف عن الكلام في دلالة الإصغاء لهي دلالة ضمنية على التدبر والتأمل في آيات الله؛ لأنَّ في الاستماع والإصغاء قد يتخللها انقطاع في المسموع لعارض بسبب عدم السكوت وهذا ما لا تحمله دلالة الإنصات، فالسكوت يثري الجانب الدلالي فضلا عن صيغة الأمر التي حملت دلالة إيحائية في التأدب عند الاستماع والتركيز فيما يقال ؛ فيكون الإنصات يحمل من الجانب النفسي والتأثير في المشاعر بأعلى مستويات الاستماع الذي لا يخالطه انقطاع أو فاصل بين قول وقول نتيجة للسكوت، لذا تكون دلالة (أنصتوا) مشحونة بالمشاعر والعواطف التي تكون باعثا على التأدب في استماع كلام الله، فتتجلى دلالة التعبير بالصيغة وتكرارها مع السمع والإنصات، لتثري دلالة التأدب في مشهد تعليمي عند استماع القرآن الكريم؛ لأنَّ الإنصات يجب أن تكون معه حالة من الثبات والهدوء إلى حين اكتمال قول الآخر، لذا نلحظ الفارق الدلالي في السماع والإصغاء والإنصات على أنّه فارق في الدرجة، ومرتبة من مراتب السمع وليس الفارق في الأداء القولي واستماعه .

وعبر صفة الإنصات التي جاءت بصيغة الأمر ودلالتها التهذيبية في كيفية التعامل مع قراءة القرآن واستماعه بوصفه فريضة عبادية مندوبة ، نلحظ النظم القرآني يقنن الذكر وقراءته بطريقة يجب أنْ لا تفقد الأجواء العبادية من إطارها الذي جاءت من أجله فالآية اللاحقة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ

(١) ينظر: آيات الأحكام، محمد إبراهيم الاسترآبادي: ٢٨٩.

بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف الآية ٢٠٥] ، وحكم الأمر في هذه الآية وسابقتها آية السمع والإنصات حكمها الاستحباب لا الوجوب ((لأنَّهما جاءا في سياق واحد، والأمر بالذكر للاستحباب فكذلك الأمر بالاستماع والإنصات... هذا، إلى أنَّ الإنصات لكل قارئ فيه عسر وحرج ، بخاصة في عصرنا الذي أصبحت فيه قراءة القرآن في المكبرات أشبه بالغناء واللعب ، ترتفع الأصوات به بمناسبة وغير مناسبة))[١]، فلا ينبغي أنْ تكون قراءة القرآن الكريم قراءة مجردة عن التدبر والتأمل ضمن إطار مشبع بالإيمان كي لا يغادر جانب التأدب في الأداء والاستماع؛ ليكون القرآن الكريم سببا في نشر الوعي بين الناس ويحفظ كرامتهم وإنسانيتهم ليرسي قواعد العدل والهدف الأسمى من رسالات الأنبياء.

ينغضون

النغضُ: هزٌّ وتحريك، والنَّغضان: تحريك الأسنان، والإنغاض: تحريك الإنسان رأسه باتجاه الغير كالمتعجب منه، والنَّغُوض: الناقة التي كبُرَ سنامها وصار عظيما واضطرب، والنَّغْض: ذكر النعام سمي بذلك لاضطراب رأسه وحركته عند مشيه[٢]، وقد يأتي الفعل لازما ومتعديا، وكل حركة في ارتجاف هي نغض، ومنه حركة الأسنان، والسحاب المتجمع في السماء عندما يتحرك بعضه في بعض ولا يسير[٣]، فدلالة الحركة والمسير دلالة مركزية قال الشاعر ذي الرمة[٤]:

ظَعَائِنُ لَمْ يَسْلُكنَ أكتافَ قَرْيَةٍ بِسيفٍ ولم تَنْغُضْ بهنَّ القناطِرُ

جاء فعل الحركة (نغض) مرتبطا بجارحة من جوارح الإنسان وهو الرأس في موضع واحد في القرآن الكريم[٥]، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ

(١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٣/ ٤٤٢.
(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ٤٥٣-٤٥٤(نغض)، والمفردات في غريب القرآن، الراغب:٥٠٢(نغض)، فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي: ١٣٣.
(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٣/ ١١٠٩(نغض).
(٤) ينظر: ديوانه: ٣٥٥.
(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي: ٧٠٩.

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ [الإسراء من الآية ٥٠ الى الآية ٥١] ، والنغض في هذه الآية المباركة يحمل دلالة سلبية من المتلقي والمعنى أنهم سيحركون إليك رؤوسهم في أثناء حديثك تحريك المستهزئ المستخف المستبطئ، لما تنذرهم به من شأن البعث والقيامة مستبعدين له[1]، ودلالة النغض التي صدرت أو ستصدر عنهم على نحو الحكاية تحمل طابع الاستهزاء الممزوج بالتعجب في حركة الرأس وتمايله عند قول النبي ﷺ وهذا نوع من التعامل السلبي في سلوك الخصوم.

النغض بدلالته السلبية في الآية الكريمة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ ما هو إلَّا مشهد حركي ساخر في مقام الحجاج مع من يريد إظهار عجز المتكلم بالسخرية منه عبر إصدار الصوت الساخر، أو الحركة ولا توجد حركة أبلغ من الرأس في هذا المقام بتحريك الرأس في ارتجاف وتمايل بالخفض والرفع فيه، فضلا عن تعابير الوجه في العينين والشفتين يريدوا من ذلك تحقيرا وعدم قبول ولا أقلّ من توقّف وتردّد وشكّ، وفي دلالة ردهم(متى هو) يدلّ على الردّ بل على الاستهزاء والتحقير بما يتفق وحركة الرأس، فنلحظ دقة التعبير القرآني عبر دلالة النغض في حين تقابله هذه الحركة الساخرة التثبّت والسكون في الرأس عند استماع المتكلم، وخفضه وخضوعه في أثناء الكلام، وهذا من لطف التعبير بالمادّة اللغوية ، من دون الحركة وما يراد فيها، في حين الارتجاف هبوط وصعود بالرأس ذي الحركات المتوالية في أثناء الكلام والاضطراب فيه بحيث يعدّ في العرف إهانة وتحقيرا[2].

دقة التعبير القرآني في تصوير هذه الحركة منهم دلت على الاستهزاء لا لشيء آخر فلم يظهروا العناد والكِبر في ذلك المقام وإلَّا لاختار التعبير القرآني الفعل (لوى)، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المُنَافِقُون الآية ٥] ، فمقام المحاجة يختلف عن مقام الدعوة لأمر ما، فيظهر المعاند الكبر لا السخرية بنغض الرأس، لذا نجد التعبير القرآني دقيقا في اختيار حركة الجوارح ودلالاتها ما بين (الَّي)، والنغض ((التعبير بالتلوية فانّ التفعيل يلاحظ فيه النظر إلى جهة الوقوع والتعلّق بالمفعول، وهي الرؤوس، وأمّا التعبير بالرؤوس

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤٨٧، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٥٩.
(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي: ١٢/ ١٨٣(نغض).

دون الجانب وغيره، فإنّ الرأس فيه القوى المفكّرة والمتخيّلة والعاقلة، وهذا يناسب الإقبال إلى رسول الله وطلب الدعاء والهداية منه))[1]، لذا نجد دلالة لوى للتكبر أقرب منه إلى الاستهزاء، أي: عطفوها وأمالوها إعراضا واستكبارا[2]، ولهذا تكون دلالة النغض في ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾، في الاستهزاء هي دلالة قرآنية وردت في هذا الموضع فقط، في حين الدلالة المركزية في اللفظ تدل على مطلق الحركة بالرفع والخفض، وهذه الدلالة القرآنية استوحت هذا المعنى من النظم القرآني الدال على المحاجة ما بين من لا يؤمن وهدفه بيان عجز النبي ﷺ في رسالته الغراء عبر المجاز[3].

لم تقف دلالة النغض عند حد الاستهزاء من القول الذي يستمعونه سواء أكان مرتبطا بقضايا البعث والنشور في القيامة أم بغيرها، وإنّما الثراء التعبيري عبر النظم القرآني حمل دلالة إيحائية مضافة وهي اليأس مما تقول بعدم الاستجابة فهم يحركون رؤوسهم، كما يحرك الآيس من الشيء والمستبعد له رأسه إلى أعلى وإلى أسفل[4]، فقد لا ينكر بقوله لأنَّه يعلم حجة المقابل فيلجأ إلى الإشارة الموحية بعدم قبول الجواب بسخرية واستهزاء ليجهز على المتكلم ويشوش عليه فيقطع بيانه وحجته، وهذا الأسلوب لم يكن ناجعا؛ لأنَّ الرسول ﷺ لم يظهر أمامهم في موقف العجز وعدم القدرة بردهم بل العكس كان الرد حاضرا، والحجة قوية مع سؤالهم المتكرر في البعث ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء الآية ٤٩]، فيجيبهم أنّ الله بقدرته يردها إلى حالتها الأولى، لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر، وصرتم (حِجَارَةً) أَوْ (حَدِيداً)، مع أنّ طباعها القساوة والصلابة لكان قادراً على أنْ يردكم إلى حال الحياة، ويالَهُ من تعبير دقيق يناسب حركة رؤوسهم وسخريتهم المستمرة من قضية البعث ثم يترك أفق التصور عندهم مفتوحا في قوله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ في السماء والأرض ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فإنه يحييه، وبدأ بما هو صلب وزيادته في قوة الحديد وصلابته، ولم يُعيّن التعبير القرآني أو يحدد وإنَّما ترك ذلك إلى أفكارهم ومخيلتهم فيما هو أصلب من الحديد،

(١) ينظر: نفسه: ١٠/ ٢٦٦(لوى).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٥/ ٢١٥.
(٣) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١/ ٣٨٣.
(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٥/ ٣٣.

فبدأ أولاً بالصلب ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه ثم الأصلب من الحديد[١]، وهذا من بديع التصوير القرآني وبيانه عبر نظمه المحكم والدقيق في اختيار الألفاظ ومناسبتها في مقام الحجاج ليقطع عليهم كل تصور أو شبهة يمكن أنْ يثيروها في قابل الأيام.

وجد:

الوِجْدان العثور على الضالة المفقودة، والوَجد الحزن وإنّه ليجد بفلانة وجدا شديدا إذا كان يهواها، والوُجْد الغنى والوسع والطاقة، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ...﴾[الطلاق الآية ٦][٢]، والوجود أضراب منه وجود بإحدى الحواس الخمس يقال: وجدتُ زيدا ووجدتُ طعمه وصوته، وخشونته، ووجود معنوي بقوة الشهوة تقول: وجدت الشبع، ووجود بقوة الغضب كالحزن والسخط، ووجود عقلي بوساطة العقل كمعرفة الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء الآية ١١٠]، والنبوة وما يتصل بهما من القضايا المتعلقة بالله ويكون الوِجدان بمعنى العلم المجرد؛ لأنَّ الله أعلى من أنْ تحده الحواس[٣]، والأصل في الفعل وجد إصابة الشيء ويتعدى لمفعول واحد، ويستعمل بمعنى علم بمنزلة وجد شيئا على صفة ما فقده من العلم بذلك الشيء ويتعدى لمفعولين، وقد يأتي بمعنى حزن وحقد وفي هاتين الحالتين يكون لازما[٤].

الفعل وجد جاء في سياق مرتبط مع جارحة الشم في التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[يوسف الآية ٩٤]، أخبر الله تعالى في هذه الآية المباركة عن نقل قميص يوسف ﷺإلى أبيه وحين انصرفت العير من مصر، قال: أبوهم يعقوب ﷺلمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أي: إنِّي أحس برائحته، يقال: إنّ ريحا هاجت حين خرج البشير من مصر، فحملت ريح يوسف من قميصه. ويذكر أنّ ريح الصبا استأذنت ربّها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أنْ يأتيه البشير بالقميص، فأذِنَ لها بحمل البشارة قبل أن يصل القميص؛ ولذلك يتروّح كلّ

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٦/ ٤٤-٤٥.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: ١١/ ١٦٠(وجد).
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٢٨(وجد).
(٤) ينظر: اللمعة البهية في قواعد اللغة العربية، محمد محمود عوض الله: ٢١٩.

محزون بريح الصبا، فلمّا وصلت الريح إلى يعقوب تحمل عطر يوسف قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[1].

إنّ لفظة وجد في سياقها القرآني الدال على آية القميص وشم رائحة يوسف عليه السلام قد تحتمل الحقيقة بحسب الظاهر، وقد تحتمل الكناية عن الحدس ((وظاهر الآية يدل على أنّ يعقوب شم رائحة القميص من مكان بعيد، وبمجرد أنْ تحرك الركب من مكانه، وقبل أنْ يتجاوز أرض مصر، مع أنَّ المسافة بين يعقوب وحامل القميص كانت مسيرة ثمانية أيام ، وقيل : عشرة، وأبقى المفسرون اللفظ على ظاهره، وقالوا: إنَّ يعقوب وجد ريح القميص حقيقة على الرغم من بعد المسافة عنه، واعتبروا ذلك معجزة خص اللهَّ بها يعقوب، وغير بعيد أنْ تكون الريح كناية عن الحدس المصيب الذي يقع للإنسان في بعض الأحيان بخاصة لأهل القلوب الطيبة الصافية، وانّ يعقوب قد أحسَّ قلبه بدنو اللقاء، فعبّر عنه بريح يوسف، ويرجح إرادة هذا المعنى أنَّ اليأس من لقاء يوسف ما خامر قلب يعقوب لحظة واحدة))[2]، بدلالة قوله تعالى : ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهَّ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهَّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف الآية ٨٧]، وقوله : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهَّ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[يوسف الآية ٨٣]، وقد يتبادر للذهن عن كيفية تلمس رائحة القميص وشمها من مكان بعيد، وأنْ تكون سببا لشفائه؟ فالأمر يعود للمعجزة الخارقة، تماما كنار إبراهيم عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وكلام عيسى عليه السلام في المهد، وهؤلاء أنبياء جميعهم، ويوسف وأبوه نبيان أيضا وحمل الأمر على الحقيقة من باب المعجزة[3].

دلالة الفعل وجد في سياقها القرآني شخصت المعنى بدقة متناهية في العثور على أمر فقده وأمر كان يرجوه وأثر في بدنه وأخذ منه مأخذه حتى فقد بصره حزنا عليه، فالتعبير بالفعل وجد العثور على أمر يطلبه في حين لو جاء التعبير بغير هذا الفعل بالتأكيد لا يؤدي الدلالة بدقتها فلو جاء التعبير بالفعل (عثر) لاختل المعنى وبدا كأنَّ العثور جاء على نحو

(١) ينظر: زبدة التفاسير: ٣/ ٤١١.
(٢) التفسير الكاشف: ٤/ ٣٥٥.
(٣) ينظر: نفسه: ٤/ ٣٥٤.

المصادفة، فدلالة العثور تتمحور حول حصول الشيء من غير أنْ تطلبه[1]؛ لذا تكون دلالة الفعل(وجد) جاءت وهي ترسم أدق صورة للمحب الذي شغف بمحبوبٍ فقده، واجتهد في البحث عنه حتى وجده، فناسبت دلالة الفعل (وجد) في هذا المقام مناسبة دقيقة جدا ليعقوب الذي أضعفت المصائب بصره ولم يكن قادرا على مشاهدة ما حوله إلَّا أنّه وجد الذي بحث عنه حين ساقت الريح له عطر يوسف مع علمه بعدم تصديق من حوله بما يقول ، ويفندون قوله وينسبوه للضلالة في تشخيص حقيقة حال يوسف والقضايا المتعلقة فيه ولكنه أعلنها حقيقة بلا تردد من قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، وهو ما يعزز حقيقة المعجزة ووقوعها بحسب الظاهر وليس بإعمال الحدس والفطرة السليمة وما جرى بعد ذلك من رد بصره كفيل بقبول دلالة الشم لرائحة يوسف عبر دلالة الفعل (وجد) ودقة اختياره.

التدقيق في النظم القرآني عبر المؤكدات الحرفية في(إنّ)، ولام التوكيد المزحلقة[2]، يعزز من حقيقة وجود رائحة يوسف﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، فكل هذه القرائن السياقية في النظم القرآني تؤكد صدق قوله وأنَّه يشم ريح يوسف وليس محض خيال، بل هي الحقيقة التي أضاءت في قلب يعقوب وبعثت فيه أمل اللقاء وهو يشم عبقه ويجدها بعد أنْ غابت عنه سنين، فضلا عن دلالة الصيغة في الفعل الدالة على الحال (أجدُ) ولم يقل: وجدت في الماضي الذي يشير إلى تحقق الشيء أيضا ولكن في الصيغة المضارعة استشعار للحالة التي هو عليها، ومناسبة لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ بتناسب الحدثين في آن واحد، وخروج القافلة من مصر حين انفصلت عن المدينة وما بين ريح يوسف التي وجدها وهي تحيط به، ما هي إلى دلالة ضمنية في السياق القرآني يمكن أنْ نتلمس منها فضيلة تعجيل البشارة، ولذلك عبر عن الذي جاء بقميص يوسف البشير، وهذه الدقة تتجلى في نظم القرآن واختيار ألفاظه.

إنَّ الفعل (وجد) في هذا السياق حمل دلالة(شمَّ)[3]، وعبر عنه بصيغة (أجد)؛ لأنَّ

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٢٥(عثر).

(٢) ينظر: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي: ٥/ ١٣٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٣/ ٤٥٦.

وجود الرائحة شعر بها عبر حاسة الشم[١]، وجاء التعبير بالفعل(أجد) ولم يأت التعبير بالفعل(أشمّ) ومقتضى الحال في الأرياح تشم ولا توجد؛ وذلك لمناسبة مقام الفِراق بين الأب وابنه فكأنه كان ضائعا فوجده حين وجد ريحه، ولما كان يوسف مفقودا بالنسبة لمن ينتظره فوجده والرائحة كذلك فناسبت الضياع فوجدها، وعطره الذي كان يأنس به على أنّه دالة من الدوال على صاحبه ضاع بضياعه أيضا، ويوم وجد الريح وجد صاحب الريح وهو يوسف، وهذه المناسبة في دلالة الضياع ووجدانها أدَّاها الفعل(وجد) على أتمّ وجه ودلالة أكثر ثراء ، فهو أبلغ من الشم لأنَّ الشمّ لا يؤدي المعنى نفسه في الدلالة النفسية المخبوءة في الفعل وجد في حين فعل الشم لا يحمل تلك الدلالة النفسية[٢]، والتعبير هنا ناسب حالة الضياع فوجده حتى ريح يوسف كانت ضائعة فوجدها وهذا الملمح دقيق جدا بدلالته الضمنية على الضياع.

تقشعر

القُشَعْرِيرَةُ هي اقشِعرار الجلد من فَزَعٍ، أو خَوْف ونحوه، يطرأ على جوارح الإنسان وفيه دلالة التبدّل والتغيّر وكل شيء تَغَيَّر فهو مقشعرٌ، واقشعرت السنة والأرض من شدة المَحْل؛ لانقطاع المطر ويُبْسُ الأرض من الكلأ، واقشعر الجلد من مرضٍ وغيره، واقشعرَّ النبات إذا لم يصبه الماء، والقُشَعْرِيرةُ مثل الاقشعرار[٣]، قال الشاعر:

أصبح البيت بيت آل إياسٍ مُقْشَعرّا والحيُّ حيٌّ خُلوفُ[٤]

والقشعريرة تصاحب الحدث المفاجئ وقد يكون بفرح أو حزن أو فزع ونحوه من الحوادث التي لها تأثير مباشر في النفس، وهذا الفعل الرباعي (قشعر) ورد في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الزمرالآية ٢٣]، والمراد من الحديث القرآن الكريم

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٨/ ٢١٢.
(٢) ينظر: جزء من لقاء للدكتور فاضل السامرائي في الشبكة العنكبوتية: https//:www.youtube.com/watch?v=fxP35cbhFLo
(٣) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي: ٢/ ٢٨٧(قشعر)، وتهذيب اللغة: ٣/ ٢٧٧(قشعر).
(٤) شعر أبي زبيد الطائي: ١١٨.

وعبر عنه متشابها في الحِكم التي فيه من الحجج والمواعظ والاحكام ، التي ينتفع منها في تدبير حياة الفرد وآياته يشبه بعضه بعضا لا تناقض فيهه وعبر عنها بالمثاني التي يُثنى فيها الحكم ، والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان، ويثنى أيضا في التلاوة فلا يُملُّ لحسن استماعه حتى ولو تكرر قراءته مرات ومرات؛ والفائدةُ في التَّكرارِ والتَّثنيةِ في الآيات أنَّ النُّفُوسَ تَنْفِرُ عن النَّصيحةِ والمواعظِ بصورة عامة، فَمَا لَمْ يُكرَّرْ عليها عَوْداً بعدَ بدْء لَمْ يَرسَخْ فيها، فتقشعر منه جلود المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعونه فيه من الوعيد وتلين جلودهم وقلوبهم مرة أخرى لما ضمنه الله تعالى لهم من الثواب[1].

الفعل(تقشعر) في سياقه القرآني حمل دلالة ضمنية في القبض، الدال على انكماش جلد أعضاء البدن، واللطيف في التعبير القرآني ونظمه تقديم الجار والمجرور الذي حقه التأخير (مِنْهُ) العائد على جُلُودِهُم في﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لبيان شدة انقباضها، يُقَالُ: اقْشَعَرَّ جلدُهُ من الخَوفِ: إذا وَقَفَ شَعْرُهُ، يتبين أنّ هؤلاء إذا سَمِعُوا القُرآنَ وآياتِ الوعيدِ فيهِ أَصَابَتْهُم خشيةٌ شديدةٌ وهذه مرتبة من مراتب التلقي في كتاب الله، ثمَّ إذا ذَكَروا اللهَ ورحمتَهُ وَسِعَةَ مَغْفرتِهِ لانَتْ جُلُودُهُم وهذه مرتبة أخرى في تلقي آيات الله، وضمَّن الفعل (لانَ) دلالة فعل متعدٍّ بـ (إلى)، فكَأَنَّهُ أراد: سَكَنَتْ أَو اطمَأَنَّتْ إلى ذِكْرِ الله، ودلالة ليَّنةً تقابل متقبِّضة في حالة القشعريرة التي تعتري البدن، فتكون راجيةً غَير خائفة، ولذلك نجد التّعبير القرآنيّ اقتَصَرَ على ذِكْرِ الله من غَيْرِ ذِكْرِ الرَّحمةِ؛ لأنَّ رحمتهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فأَصْلُ أَمرِهِ الرَّحمَةُ والرَّأْفةُ، فكَأَنَّهُ قالَ: إذا ذَكَروا الله استبدلُوا بالخشيةِ الطمأنينة رَجَاءً في قُلُوبِهِم، وبالقَشْعَريرةِ لِيناً في جُلُودِهِم[2]، وهذه من أروع المقابلات في حال تلقي القرآن الكريم ومراحل تأثيره في النفس مما يصور الانطباعات النفسية في أثناء التلقي ومراحله، ومناسبة الألفاظ في اختيار القشعريرة أولا واللين في المرحلة الثانية عند سكون النفس وفي اللين من اللطف والجمال الباعث على النفس الهدوء والسكون ما لا تؤديه دلالة مضادة لحالة الاضطراب والانقباض في الجلد والنفس.

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٢١.
(٢) ينظر: تفسير جوامع الجامع: ٣/ ٢١٧.

لو تأملنا دلالة الصيغة في الفعل تقشعر ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾، والفعل تلين ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ نجدهما يحملان الدلالة الحالية والاستقبال في مقام النتيجة لحدث التنزيل ليناسب مراحل تأمل آيات الله وتدبرها فضلا عن الأثر النفسي البارز في هذا السياق؛ لأنّ حدث القشعريرة واختيار لفظه المضارع جاء دقيقا في تصوير الانفعال النفسي عند تلقي القرآن الكريم في أول مراحله وبطبيعة الحال حتى القشعريرة هي مرتبة من مراتب المعرفة ودرجة من درجات التقوى، فليس كل من تعرض عليه آيات الله يقشعر بدنه أو يلين قلبه أو يصيبه الوجل، ولذا نجد دقة اختيار الفعل تقشعر في دلالة التأثر الخارجي عبر انقباض جلد أعضاء الجسد والأثر الداخلي في اللين وارتباط الظاهر بالباطن في الجلد والقلب معا، ففي القشعريرة ذكر الجلد فقط وفي اللين ذكر الجلد والقلب في اشارة لاتفاقهما وانسجام الجانب النفسي والظاهري في أعضاء الجوارح.

دلالة اقشعر حملت طابعا إيجابيا في حدث الفعل المرتبط مع أجزاء البدن الظاهرية وهي مرتبة من مراتب الإيمان أظهرتها الآية المباركة وهي بداية للتلقي تنتهي باللين وياهَا من لفظة تبعث على الهدوء والسكينة مثّلت قمة الانسجامين الظاهري والباطني ما بين الجلد والقلب، في حين التعبير القرآني لا يذكر أثرا ظاهريا في أعضاء بدن الذين لا يؤمنون، لأنّهم لا يتأثرون عند تلقي القرآن الكريم وإنّما يزدادون عنادا وابتعادا عن طريق الهدى نتيجة للأثر القلبي الذي ختم عليه فتسوده الظلمة، فنجد التعبير القرآني يختار دلالة الفعل(اشمأز) ويربطها بالقلب فقط، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمرالآية ٤٥]، وفعل الاشمئزاز ورد مرة واحدة أيضا، وفي هذا الموضع من السورة نفسها يحمل طابع النفس مع القلب من دون الجلد في دلالة تحمل طابع النفور والكراهية، لذا نجد التعبير القرآني ينتقي الألفاظ بما ينسجم مع الأثر النفسي والدلالي كي ((لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثيرٌ لا يكون لصاحبتها))[1].

أحسن الحديث كلام الله الذي تخشع له القلوب وتذعن له العقول لصدقه، وجمال لفظه، ودقة أداء نظمه؛ لتتجلى فيه الروعة في انتقاء الألفاظ، فنجد لفظة (تقشعر) تحمل

(١) كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٢٥٨.

دلالة التقبّض الشديد عبر الدلالة الحالية في صيغة المضارع، ويفترض أنْ تكون الآيات سببا في الاطمئنان وليس الخوف والوجل، وهذا يعود لمرتبة المعرفة؛ لأنَّ الخطاب هو بيان لحال المؤمنين ولذلك عبَّر عنه بفعل آخر وهو الخشية، ومعلوم أنَّ الذين يخشون الله هم ممَّن حازوا الرتب في القرب إلى الله ؛ ولذلك جاءت لفظة (تقشعر) وهي تؤدي أبلغ صورة لمراتب تلقي آيات الله في مراحله الأولى وبالأخص عند العرض على آيات، فيقف شعرهم خوفا ممّا فيه لشدّة الخوف، وبنية الفعل(تقشعر) الذي اجتمعت فيه حروف القشع، وهو الأديم اليابس، بزيادة الراء ليصير رباعيّا، ويدلّ على معنى زائد في القبض مع التغير والتبدل، كتركيب القمطر من القمط وهو الشدّ.

لذا يجوز أنْ يكون المعنى عبر دلالة القشعريرة أنَّ اللهَّ سبحانه وتعالى يمثل حال المؤمنين ويصفهم بما يريد أنْ يكونوا عليه لتجري الآية مجرى المثل في حالهم، وتصويرا لإفراط خشيتهم، لأنّهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده، أصابتهم خشية شديدة تقشعرّ منها جلودهم[1]، وصيغة الفعل المضارع توحي بأنّ هذا الوصف ليس وصفا دائما فيهم وإنّما يتبدل ويتغير ولا يستمر طويلا حتى تحدث السكينة في نفوسهم وتطمئن قلوبهم فتلين الجلود والقلوب لتتفق الصورة الخارجية والباطنية معا، وذكر القشعريرة واللين في سياق واحد؛ لأنَّ الآية السابقة توعدت القاسية قلوبهم ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الزمرالآية ٢٢]، وبعدها ذكرت حال المؤمنين ووصفت حالهم مع ذكر الله ، وطبيعة التلقي فيهم ومراتبه التي لا تجري على نسق واحد وهذا من بديع النظم القرآني وجمال أدائه التعبيري.

يتمطى

المطُّ في الشيء مدُّهُ، ومُطِيَ في الشمس مُدَّ، والتمطِّي لمن يمدُّ جسده في أثناء المشي فيقال عنه: يتمطَّى، والمطيطاء: التبختر في المسير[2]، والمَطْو في السير، الامتداد فيه قال الشاعر:

مَطَوتُ بهم حتى تَكِلَّ مَطِيُّهمْ وحتى الجيادُ ما يُقَدنَ بأرْسَانِ[3]

(١) ينظر: زبدة التفاسير: ٦/ ٧٣.
(٢) ينظر: كتاب العين: ٧/ ٤٦٣(مطا).
(٣) ينظر: ديوان امرؤ القيس: ١٦١.

وسُمي الظهرُ بالمطا؛ للامتداد الذي فيه، ومن هذا القياس سُميت المطيَّةُ؛ لأنَّه يُركب مطاها، ويقال: امتطيت البعير، والمِطْو عذْق النخلة، لامتداده أيضا[١]، وقيل الأصل في اللفظ هو التمطط، وقلبت إحدى الطاءات ياءً، لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة، مثل قولهم: التَّظَنِّي والتقَضِّي، في التظَنُّن والتقَضُّض، والتَمَطِّي: التبختر في المشي ومد اليدين[٢]، والمِطو: هو الصاحب الذي يعتمد عليه وتسميته بذلك تشبيها له بالظهر[٣].

هذه الحركة من الإنسان في(التمطي) على أنَّها مشية تكون باستطالة الظهر وحركة اليدين مع تبختر وامتداد القدمين، وقد ورد هذا الفعل بصيغة المضارع في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [القِيَامَة من الآية ٣١ الى الآية ٣٥] ، فالتمطي تمدد البدن من الكسل وهذا الكسل إمّا يكون ناتجا عن مرض، أو كسل تثاقل عن الأمر. وفي السياق ما يدلُّ على الذم بكسل التثاقل عن الداعي إلى الحق، وفي دلالة الفعل (يتمطى) التبختر، فالأصل في يتمطى يلوي مطاه، والمطاء الظهر، فيلوي ظهره عند مشيه افتخارا منه، وقد يكون المطَّ بمعنى المدّ، فإنّ المتبختر يمدّ خطاه في أثناء حركته ومشيه، فيكون أصله: يتمطَّط، أي: يتمدّد. أو من المطا، وفي هذه الآية المباركة النهي عن مشية التمطِّي بطريقة يلقي الشخص بدنه مع التكفي يمينا وشمالا في مشيه، وقد نزلت الآية في أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي، الذي توعده الله ومن سار على منواله[٤] ، وقيل في الوليد المخزومي .

ورد الفعل (يتمطى) في سياقه التعبيري لينقل لنا حال المتبختر بدلالة سلبية مع من يكذب بهذه الشريعة الغراء، وسواء أكانت بنية الفعل مأخوذة من المطّ بدلالته على التمدد في الظهر أو اليدين بحيث يمشي مشية الخيلاء، أم بدلالة الفعل المأخوذة من (المطا) وهو الظهر حين يتمايل يمينا وشمالا ويتمدد بالتواء، كناية عن التبختر والخيلاء[٥]، فالدلالة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٣٢(مطو).
(٢) ينظر: الصحاح: ٦/ ٢٤٩٤(مطا)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي): ١٠/ ٨٩، و الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفيّ: ٤/ ٣٠١.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٧٢(مطى).
(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٠٢، وزبدة التفاسير: ٧/ ٢٦٤.
(٥) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري: ١٢/ ٩.

واحدة في نقل الصورة الحركية للماشي مشية بطريقة المتعالي حين يعود لأهله ويحدو به الزهو مما قدمه من إعراض وإنكار لرسالة السماء، ونلحظ دقة التعبير القرآني حين يتوعد أمثال هؤلاء بدقة متناهية في النظم القرآني ليقابله بوعيد شديد لأربع في أربع وهي ترك الصدقة والصلاة والكذب والتولي بقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القِيَامَة من الآية ٣٤ الى الآية ٣٥] ، بتكرار كلمة الوعيد(أولى) أربعا وتأكيده، ومن هنا يُعلم أنّ الآية دالة على أنّ الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة، وما تعلق بها من أعمال كالصدقة وصدق الحديث، كما يستحقهما بترك الإيمان، وهذا من بديع النظم القرآني في هذا السياق، فضلا عن الصورة البصرية التي يرسمها القرآن الكريم لشخص المختال عبر دلالة التمطي والغرور الذي يكتنفُهُ، ليجعل هذا الوعيد والتهديد مكررا بقرب العذاب عبر تضافر دلالة (أولى) في هذا السياق.

هناك نوع من التناسب في دلالة الفعل يتمطى في سياقه التعبيري، وما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ [المُطَفِّفِين من الآية ٢٩ الى الآية ٣١] ، ففي هذا السياق عبر عنهم حين ينقلبون إلى أهلهم (فكهين) بصيغة الاسم، وفي سورة القيامة عبر عنهم بحركة التمطي وبالصيغة الفعلية التي تدل على الحدوث، فضلا عن الإفراد والجمع واختلافهما في الموضعين، ففي سياق سورة المطففين المقام يتعلق بمن أجرم ومن آمن، والمناكفات التي تجري بينهما وما يكال للمؤمنين من تهم وافتراءات، فعبر بالفكاهة في حال انقلابهم إلى أهلهم والفكاهة مجرد الحديث بظرف[1]؛ لأنَّ المقام يراد منه العموم فجاء على نحو الوصف الثابت، وأمَّا السياق في سورة القيامة، فيعبر عن حالة فردية بمن اتصف بصفات أربع مذمومة فعبر عنها بالفعل لتناسب حالة الحدوث والتجدد في(يتمطَّى) في أثناء ذهابه، وجاء بالصيغة الفعلية لتجدده في الحدوث الحركي وهو التمطّي، في حين سياق سورة المطففين ينقل حالة الانقلاب إلى الأهل برجوعه إليهم من دون تسليط الضوء على حالة الإدبار وحركتهم الانتقالية، فعبر بالصيغة الاسمية لتناسب حالة الثبات والاستقرار لمن كان بين أهله، ولدلالة التبختر وما فيها من إشارة إلى أنّه بعد التكذيب والإعراض،

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٨٦(فكه).

يدبر ويتوجّه إلى جانب أهله بحالة الرضا والشغف في قوله وعمله بصورة بصرية لحال الماشي ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾، من دون أنْ يتوجّه إلى ضعف وعيب وتقصير في نفسه[1]، بل يتبختر ويفتخر ويتظاهر بالعجب والخيلاء، وفي كل من المقامين جاءت المناسبة في النظم والدلالة.

وللالتفات مزيته في التعبير القرآني فالخطاب كان عاما في الغائب ثم ينتقل للشاهد الحاضر[2]، في التذكير بأهوال القيامة وما يجري فيها، ثم ينتقل لبيان سبب الوغول في أهوالها وآفات العذاب التي منشأها دنيوي ، فترتبط بأفعال وحركات معنوية ومادية يؤديها الإنسان في حياته ولمزية التخصيص فيها جاء التعبير يحاكي أحداثا فردية ؛ لينطبق الخطاب على كل فرد بعدِّه مصداقا لهذه الأحداث ليكون أبلغ في الخطاب الإرشادي في تجنب هذه الصفات السيئة.

خاتمة بأهم النتائج

مثلت هذه الدراسة التطبيقية لبعض الألفاظ القرآنية في إثبات دقة اختياره في النظم القرآني ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحثان هي:

الأفعال تتفاوت بسعة الدلالة وثرائها في التعبير القرآني، ويوجز الدلالة بما ينسجم وطريقة نظمها مدى ما تحمله من أثر دلالي وبلاغي داخل السياق، لذلك تجلت دلالات تمثل غاية الدقة في أداء المعنى بما لا يبيح التعويض عن أي لفظ بلفظ آخر ؛ يمكن أنْ يؤدي المعنى نفسه المرجو وبالدقة نفسها والأداء التعبيري، ولا سيَّما الأفعال التي ارتبطت بالجوارح.

هناك فروق دلالية في الألفاظ التي تعدُّ مترادفة في غير القرآن الكريم ، فالبحث بيّن دقة الألفاظ في اختياراتها بما لا يمكن أنْ يُعدُّ ترادفا في لغة القرآن الكريم، فكل فعل له دلالة خاصة تميزه عن الفعل الذي يمكن أنْ يلتقي معه في الدلالة العامة كالإنصات والاستماع، وإنّما هناك فروق دلالية تميز كل فعل عن غيره.

بنية الفعل تتضافر فيها الأصوات التي تسهم بتعزيز الدلالة المركزية في الفعل ؛ مما

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١١/ ١٣٠(مطو).
(٢) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١/ ١١.

يجعل من الفعل يرسم صورة ذهنية للدلالة المركزية التي ينتج عنها أثر نفسي وجسدي ، كما هو الحال مع دلالة (تقشعر) بتقارب الدلالة الصوتية من الدلالة المركزية في حركة الجلد بتغيره وتبدله تبعا للحالة النفسية.

الدلالة الزمنية في الأفعال تنوعت في حال الماضي والمضارع، وفي صيغ المضارع أثرتْ الجانب النفسي بدلالة إيحائية ؛ في تجدد الحدوث واستمراره على نحو الوصف الدائم ومنه في ثبوت الصفات السلبية في المتكبر وهو يتمطى في حركته عند المشي.

الدلالة المجازية حاضرة في الأفعال المرتبطة بالجوارح إذ إنَّ الفعل (وجد) أشرَبَ دلالة الفعل (عثر) بأدق صورة مثَّلت اللقاء بعد الفراق الذي طال انتظاره.

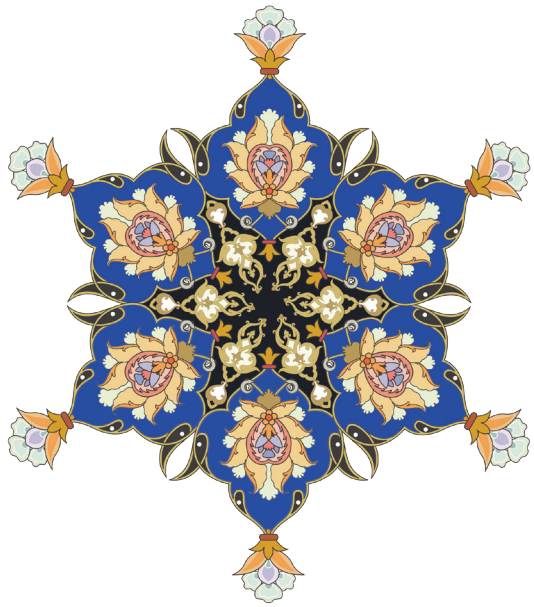

المصادرو المراجع

١. القرآن الكريم

٢. آيات الأحكام، محمد إبراهيم الاسترآبادي، تحقيق: محمد باقر شريف زادة، مكتبة المعراجي، طهران، (د.ط)، (د.ت).

٣. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٤. الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفيّ(ت٥٣٧هـ) ، اعتنى به: الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار ، دار الكتب العلميّة ،بيروت ط: الأُولى١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاويّ)، عبد الله بن محمّد الشيرازيّ الشافعي البيضاويّ(ت٦٨٢هـ) ، إعداد وتقديم: محمّد عبد الرحمن المرعشليّ، ط:الأولى، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٦. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس، عمان، ط: الأولى، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

٧. تاج العَروس من جوَاهر القامُوس ، للسَّيّد محمّد مرتضى الحسينيّ الزّبيديّ(ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق: د. محمود محمّد الطناحيّ ، راجعه: عبد السَّلام محمّد هارون ،التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام ، الكويت١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٨. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدسة- إيران، (د.ط)، ١٤٠٩هـ.

٩. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن مصطفويّ، مؤسسة الطباعة

والنشر–وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٠. تفسير البحر المحيط ، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمّد معوض، ود.زكريّا عبد المجيد، ود. أحمد النجولي الجمل، قرضَه: د. عبد الحي الفرماويّ ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

١١. تفسير جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٤٨هـ) ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢. تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومَفاتيح الغيب ، محمّد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ(ت٦٠٤هـ)دار الفكربيروت، ط: الأُولى١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

١٣. تفسير القميّ ، علي بن إبراهيم القميّ (توفّي نحو٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق: السيّد طيب الموسويّ الجزائريّ ، منشورات مكتبة الهدى، قم المقدسة، (د.ط)، ١٣٨٧هـ.

١٤. التفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط:الثالثة، ١٩٨١م.

١٥. تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهرانيّ، المطبعة الحيدريّ، طهران، (د.ط)، ١٣٣٧ش.

١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعان والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (د.ط)، ١٣٨٧هـ.

١٧. تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ(ت٣٧٠هـ) تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي ، القاهرة، (د.ط)١٩٦٧م.

١٨. الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

١٩. ديوان امرؤ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٠. ديوان ذي الرُّمَّةغيلان بن عقبة(ت١١٧هـ) ، شرح الخطيب التبريزيّكتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيد طراد ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ط:الأولى١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢١. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٢. زبدة التفاسير، الملّا فتح الله الكاشانيّ(ت٩٨٨هـ) ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.

٢٤. شعر أبي زبيد الطائي (توفي بعد سنة ٤٠ بقليل) ، جمعه وحققه: د. نوري حمودي القيسي، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.

٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد الجوهريّ(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:الرابعة، ١٩٩٠م.

٢٦. الفعل زمانه وبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط: الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٧. كتاب دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١،أو٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الخامسة، ٢٠٠٤م.

٢٨. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ(ت١٧٥هـ)، تحقيق : د. مهدي المخزوميّ ود. إبراهيم السامرائيّ، دار الرشيد، بغداد ، (د.ط)، ١٩٨١م – ١٩٨٤م.

٢٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، أحمد أبو إسحاق الثعلبي(٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٠. كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين المقداد السيوري(ت٨٢٦هـ)، تحقيق: محمد باقر شريف زادة، المكتبة الرضوية، طهران، (د.ط)، ١٣٤٣ش-١٣٨٤ق.

٣١. اللمعة البهية في قواعد اللغة العربية، محمد محمود عوض الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ٢٠٠٣م.

٣٢. مجاز القرآن، صنعه: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ(ت٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٣٣. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ(ت٥٤٨هـ) تقديم: السيد محسن الأمين العامليّ ، مؤسسة الأعلميّ ، بيروت (د.ط)١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٤. معاني القرآن الكريم ، للإمام أبي جعفر النّحاس(ت٣٣٨هـ) ، تحقيق: الشيخ محمّد علي الصابونيّ جامعة أمّ القرى ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ط:الأُولى١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه: محمّد فؤاد عبد الباقيدار ، الجيل ودار الحديث بيروت (د.ط)١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريَّا(ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمّد هارون ، دار الفكر ، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ(٥٠٢هـ) ، تحقيق ومراجعة: محمّد خليل عيتانيّ ، دار المعرفة، بيروت، ط:الخامسة ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.